

نعمة وسلام لكم من الله أبينا والرب يسوع المسيح ومرحبا بكم إخوتي في الاستماع لعظة اليوم وهي من ترنيمة القديسة مريم أم ربنا يسوع كما جاءت في إنجيل لوقا الاصحاح الأول والايات 46 الى 55. اليكم قراءتها باسم ربنا يسوع المسيح. فَقَالَتْ مَرْيَمُ:

تُعْظِمُ نَفْسِي الرَّبَّ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مَخْلِصِي لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ إِلَى اتِّضَاعِ أُمَّتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ وَأَسْمُهُ قُدُّوسٌ وَرَحْمَتُهُ إِلَيَّ جِيلِ الْأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَنَّتِ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ الْمُقْتَدِرِينَ عَنِ الْكُرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُنْضَعِينَ. أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الْأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكَرَ رَحْمَةً كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا، لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسَلِهِ إِلَى الْأَبَدِ.

هذا نشيدة القديسة مريم أم ربنا يسوع ابن الله

القديسة مريم رفعت هذه الترنيمة بعدما أن أخبرها الملاك جبرائيل أنها ستحمل بالروح القدس وتلد ابناً وتسميه يسوع وهو قُدُّوسٌ وَيُدْعَى ابْنُ اللَّهِ الْعَلِيِّ. وأخبرها الملاك أن نَسِيْبَتُهَا أَلْيَصَابَاتُ هِيَ أَيْضاً حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا وَهِيَ فِي شَهْرِهَا السَّادِسِ لِتِلْكَ الْمَدْعُوعَةِ عَاقِراً. وقال الملاك: لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمَكِّنٍ لَدَى اللَّهِ.

أَلْيَصَابَاتُ كَانَتْ عَاقِرٌ وَمِنْ قُوَّةِ اللَّهِ أَصْبَحَتْ حُبْلَى مِنْ زَوْجِهَا الْكَاهِنِ زَكَرِيَّا وَهِيَ مُتَقَدِّمِينَ فِي السِّنِّ. ومريم هي عذراء أصبحت حبلى ومن الروح القدس. بالحق لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمَكِّنٍ لَدَى اللَّهِ. وبعد هذا قَالَتْ مَرْيَمُ: هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ. فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلَاكُ. فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجِبَالِ. وَمَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَ أَلْيَصَابَاتِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ تَخْدُمَهَا ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. وَأَمَّا أَلْيَصَابَاتُ فَتَمَّ زَمَانُهَا لِتَلِدَ فَوَلَدَتْ ابْنًا وَهُوَ النَّبِيُّ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ.

مريم وضعت حياتها لتخدم الله وتعمل إرادته وعظمت الرب وأبتتهجت بخلاصه. والخلاص كان موضوع بشارة الأنبياء القديسين منذ القديم الى أن حققه الله الان في وقته. منذ القديم الله عرف نفسه كالمخلص إله الخلاص؛ فكان جميع المؤمنين في العهد القديم ينتظرون خلاص الرب من أعدائهم. نشد الملك داود مثلا في مزموره 69 يقول: اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ لِأَنَّ رَحْمَتَكَ صَالِحَةٌ. كَثُرَتْ مَرَاحِمُكَ النَّقْتُ إِلَيَّ وَلَا تَحْبُبْ وَجْهَكَ عَنْ عَبْدِكَ لِأَنَّ لِي ضَيْقًا. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعًا. اقْتَرِبْ إِلَيَّ نَفْسِي. فَكُفَّهَا بِسَبَبِ أَعْدَائِي أَفْدِي. وهذا ما كان يعمله الله حتى جاء تمام الزمان فأرسل ابنه مولود من امرأة. الله ما ينسى وعوده أبدا. حتى لما يسمح أن أتقياءه يكونوا في المحن ويسقطوا في أدنى مستوياتهم في حياتهم فمن هناك الله يرفعهم ويكرمهم.

يخبرنا الكتاب المقدس عن نساء مؤمنات اللواتي كنَّ عاقرات وباركهن الله بمنحهن أطفالاً، مثل سارة زوجة إبراهيم التي أنعم الرب عليها فحملت ابنها إسحاق من زوجها إبراهيم وهما في شيخوختهما؛ وحنَّة أم النبي

صموئيل التي كانت أيضا عاقر حتى بارك الله رحمها. ونساء أخريات باركهن الله وصرن قنات لخلاصه حتى الى أليصابات والدة يوحنا المعمدان. ومريم أيضا عظمت الله بنفس الروح القدس الذي كان في كل نساء الله في العهد القديم. حنة أم صموئيل مثلا نشدت قائلة:

ابْتَهَجَ قَلْبِي بِالرَّبِّ وَسَمَتُ عِزَّتِي بِهِ، أَفْتَخِرُ عَلَى أَعْدَائِي لِأَنِّي فَرِحْتُ بِخَلَاصِكَ إِذْ لَيْسَ قُدُّوسٌ نَظِيرَ الرَّبِّ وَلَا يُوجَدُ مَنْ يُمَاتِلُكَ وَلَيْسَ صَخْرَةٌ كَالِهِنَا. خلاص الله ينير الوجوه بالفرح والابتهاج والشجاعة والمحبة. كما صار معنا أيضا. منذ أن آما بيسوع المسيح ابن الله، أدخلنا الرب في وعود أبنه الحبيب فصار هو ترنيم إنتصارنا ومدحنا وفرحنا ومخلصنا له المجد. ونقول مثل داود: لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَدًا مُجِبُّو خَلَاصِكَ: يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ. هذه أقوال الملك والنبي داود في زموره 40. وقال أيضا: أَمَا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا إِلَهِي لَا تَبْطِئْ.

نفس الروح القدس عمل فيهم يعمل اليوم. فهو الله المخلص. الله أعدّ الخلاص لجميع الشعوب كما هو مكتوب: مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ وَلَكِنْ قَدْ أَظْهَرَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ. ومنذ فجر الخليقة أعلن الله أنه يرسل المخلص من امرأة ليسحق رأس الشيطان. وهذا ما عمله بابنه في الجسد. يسوع ابن الله اشترك في اللحم والدم وهكذا تمكن أن يموت ليقضي على من له سلطة الموت، أي إبليس، ويحرر من كان الخوف من الموت يستعبدهم طوال حياتهم. نعم. هللوا. المجد لله مخلصنا.

مريم سمعت خبر الله لها وواضعت نفسها بكامل الموافقة في خدمة الرب فقالت بوعي: ها أنا عبدة الرب، ليكن لي كما تقول. مريم سمعت وآمنت وبفضل نعمة الله أصبحت أكثر النساء كرامة. ولكنها ستصير أيضا الأكثر آلاما لأنها ستري ذاك القدوس الذي حملته في بطنها بطريقة عجيبة ستراه وهو في عمره حوالي 33 سنة مسمرا على صليب. إلا أنها الان تعبر عن إبتهاجها في الله مخلصها. الرب المخلص. هكذا قال ايضا الملاك لرعاة ليلة ولادة يسوع: لَا تَخَافُوا، فَهِيَ أَنَا أَبَشْرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَعْجَبُ الشَّعْبُ كُلُّهُ فَقَدْ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. بعدما أن بشر الملاك القديسة مريم أن القدوس المولود منها يدعى ابن الله العلي، الان يشهد أن يسوع المسيح هو الرب المخلص.

هذا خبر الله المفرح لكل الناس لانه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية. الله ما نسي وعوده في وقت واحد حقق وعدين. أرسل النبي يوحنا المعمدان ليمهد الطريق للمسيح كما قاله بالنبي ملاخي في القرن الخامس قبل يسوع: ها أنا أرسل رسولي فيمهد الطريق أمامي. وأرسل الله المسيح كما تنبأ به بإشعياء في القرن الثامن من قبل: وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسَهُ آيَةً، هَا الْعُدْرَاءُ تَحْبَلْنَ وَتَلِدْنَ أَبْنَاءً وَتَدْعُو أَسْمَهُ عِمَّاثُونِيَل. وقال أيضا: لِأَنَّهُ يُؤَلِّدُ لَنَا وَوَلَدٌ وَيُعْطَى لَنَا ابْنٌ يَحْمِلُ الرِّيَاسَةَ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا مُشِيرًا إِلَيْهَا قَدِيرًا أَبًا أَبَدِيًّا رَئِيسَ السَّلَامِ. يسوع لم يأت من نفسه. الله

هو الذي أرسله من السماء . فهو كلمة الله في الجسد . وله يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به، ينال بإسمه غفران الخطايا . كان يسوع المسيح عند الله ولكنه بقدره العلي صار بشرا مثلنا، سوى في الخطيئة .

بيشرنا الانجيل أن الله أرسل الملاك جبرائيل أيضا إلى عذراء اسمها مريم فقال لها: سلام لك أيها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت في النساء . مريم اضطربت لكلام الملاك . هذا أمر غير طبيعي . فسألت نفسها ما عسى أن تكون هذه التحية؟ فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم فإني قد نلت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع؛ إنه يكون عظيماً وابن العلي يدعى . هذا عمل الله الذي لا يمكن لأي قوة أن توقعه أو تغير مسيرته وتحقيقه . خطة الله بيسوع كانت الخلاص به .

ثم أخبرها الملاك جبرائيل أن نسيبتها أليصابات هي في شهرها السادس . وفي تلك الأيام قامت مريم وذهبت مسرعة إلى الجبال فدخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات . وغير أليصابات سمعت سلام مريم، والجنين ففر داخل بطنها . ففر ابتهاجاً لصوت مريم الطيب أم يسوع ابن الله وامتألت أليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنت بين النساء، ومباركة ثمرة بطنك، فمن أين لي هذا: أن تأتي إلي أم ربي؟ فطوبى للتي آمنت أنه سينم ما قيل لها من قبل الرب . وعظمت مريم الله بروحها مبتهجة بالرب مخلصها لأنه نظر إلى اتضاع أمته . خادمته .

القدير هو صنع بها عظام وأسمة فدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتفونهُ . ماذا صنع الله؟ شنت المستكبرين بفكر قلوبهم . المتكبر يعظم نفسه بفكره أنه مهم وأنه على حق . لكنه لا يعرف أن الكبرياء يسبق الانكسار والسقوط بعد تشامخ الروح . فما نحسد عمال الإثم لأنهم مثل الحشيش سريعاً يقطعون . اتكل على الرب وافعل الخير . اسكن الأرض وارح الأمانة . انتظر الرب واصبر وما تعز من الذي ينجح في طريقه ومن الاشرار لأنهم يقطعون . الذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض .

مريم تذكر هذه الحقيقة، أن المتكبرين والجبارة والأغنياء الله بددهم وأنزلهم من مناصبهم وصرفهم فارغين . يسوع المسيح هو المقياس... وتذكر كذلك المتواضعون والجياع والمحقرين وهم الذين رفعهم الله وأشبعهم من خيراته وخلصهم . الله ما نسي شعبه، تذكر الرحمة كما تكلم إلى آبائهم ولإبراهيم ونسله إلى الأبد . الله أوفى بالوعد لإبراهيم أن منه يجي النسل الذي تتبارك فيه جميع شعوب الأرض . هكذا قال الله لإبراهيم: وأقيم عهد يبي وبنيك وبينك من بعدك . ما قال: في الأئسال كأنه عن كثيرين، بل وفي نسلك كأنه عن واحد الذي هو المسيح .

من الروح القدس مريم فهمت هذه الحقيقة وذكرت أن الله نظر إلى اتضاعها وطوبها . في نظرة الله الرحمة والخلص . الله يلتفت بوجهه إلى طالبيه ويزحمهم ويثبت خطواتهم في كلمته لئلا يتسلط عليهم الإثم . عينا الرب على الصديقين وأذناه لصراخهم . صرخوا والرب سمع ومن كل ضيقاتهم أنقذهم . قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقين الروح . الله التفت الى مريم وأعطاه مسؤولية عظيمة وهي قبلتها

بتواضع وإبتهاج. لهذا جميع الأجيال في كل زمان تطوّبها وتكرمها من أجل طاعتها لانها حملت ابن الله في بطنها اطاهر. الودعاء يسمعون وَيَفْرَحُونَ وَيَعْظُمُونَ الرَّبَّ. داود جدّ مريم الذي عاش ألف سنة من قبل يناشدنا أيضا في مزاميره يقول: لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ طَالِبِيكَ لِيَقُلْ كُل حِينٍ مُحِبُّو خَلَاصِكَ يَتَعَزَّمُ الرَّبُّ. أَمَا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ يَا إِلَهِي لَا تُبْطِئْ. آمين.

نشيد مريم هو أعظم أناشيد الكنيسة وهو مرتبط بإعلان ميلاد يسوع وبعيد الفصح الذي فيه صلب ابن الله ليخلصنا من سلطان الظلام وينقلنا الى ملكوت نوره العجيب. يسوع. ما أعظمه. لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَاصُ لِأَنَّ لَيْسَ اسْمٌ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ فَدَمَهُ اللهُ لِلْبَشَرِ بِهِ يَجِبُ أَنْ نَخْلُصَ. يسوع. رجاء المساكين والمتواضعين والمضطهدين من اجل البر. فهو يغفر جميع الخطايا مهما كانت. هو أحبنا حتى الموت، موت الصليب. هو رائد الايمان ومكمله وهو سلامنا لانه يقول: سلاما أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. فلا تضطرب قلوبكم ولا ترتعب. نعم. ونقول مع مريم: تُعْظِمُ نَفْسِي الرَّبَّ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مَخْلِصِي. آمِينَ. ونعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس معكم كل يوم. آمين.